وكون من المؤمنين اى ليت لنا رد مع الجمع بين الشيئين فيكون من الاستثناء بتحصيل الاجتماع متمنى القوم وابن عامر اعتبر
فى دفع ولا نكذب ما اعتبره من دفع الفعلين جميعا واعتبر فى نصب ونكون ما اعتبره من نصب الفعلين قوله
الاضراب عن ارادة الايمان يعنى ان كلمة بل ليست للانتقال من قصة الى اخرى حتى تكون من الاولى بل هى لابطال كلام
الكفرة اى ليس الامر على ما قالوا من انهم لو ردوا الى الدنيا لامنوا فان التمنى الواقع منهم يوم القيمة ليس
لاجل رغبتهم فى الايمان بل لاجل خوفهم مما شاهدوه من العقاب وهذا يدل على ان تمنى الايمان انما ينفع اذا
نشاء من الرغبة فى طاعة الله تعالى ونيل مرضاته والذى نشاء من الرغبة فيما شاهدوه من الثواب ومن
الخوف مما عاينوه من العقاب فلا ينفعه قوله والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم
الاول على ان يكون الاية نازلة فى حق المنافقين ويكون الضميران اعنى الجرور والمرفوع فى قوله بل بدا لهم ما
كانوا يخفون للمنافقين فانهم كانوا فى الدنيا يظهرون الايمان ويخفون ما يظهرون هم عليه من الكفر والنفاق
فيبدو لهم يوم القيمة نفاقهم اى عقوبة نفاقهم بتقدير المضاف فلذلك تمنوا ان يرجعوا الى الدنيا ويكونوا من
المؤمنين ضجرة وترحا من شدة ما عاينوه من عقوبة نفاقهم لا من حيث عزمهم ورغبتهم فى الايمان
بالله وطاعته والثانى على ان يكون الاية نازلة فى حق عامة الكفرة من اهل الكتاب والمشركين والمنافقين
فان كل فريق منهم لا يخلو من اخفاء ما هو من قبائح الاعمال فان اهل الكتاب يحرفون كتاب الشرع ويكتمون
بعض ما فيه من الاحكام ومن نعت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واخفاء المنافقين ظاهر وقال بعض
اهل التفسير ان المشركين يجحدون ويخفون شركهم لبعض مواقف القيمة ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين ويعرفون
من يشهد علينا بذلك وانا لا نقبل شهادة من ليس منا علينا من حيث انا لا نعرف ان يكذب علينا فينطق الله تعالى
جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فلذلك حين بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل قال الامام الواحدى على هذا القول
اهل التفسير قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فان قيل ان اهل القيمة قد عرفوا الله تعالى بالضرورة وشاهدوا
عذاب العصاة ومع ذلك كيف يصح ان يقال لهم انهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا الى الكفر والمعصية اجيب بان ذكر ميسر
لما خلق له وانه لا راد لما قضاه والله تعالى لا مبدل لما حكم فى حكمه القضاء والازل على شركهم وغلبت عليهم شقوتهم
فلا جرم يصدر عنه ذلك العناد ولا ينفعه العلم الضرورى بسوء عاقبته الا يرى ان ابليس قد عاين
ما عاين من ايات الله ثم عاند قوله عطف على لعادوا والمعنى انهم لو ردوا لكفروا وقالوا اى لانكروا
الحشر والنشر كما كانوا انكروا قبل معاينة القيمة او عطف على قوله انهم لكاذبون على معنى انهم قوم كاذبون

كاذبون فى كل شىء وهم الذين قالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم حيث انكروا البعث
والقيمة بعدما عاينوها وان صدر هذا الانكار منهم قبل معاينتهم البعث والنشور كما يدل
عليه قوله تعالى بلفظ الماضى يكون هذا القول منهم ايضا كذبا لكونه انكارا لما هو الحق الثابت بالدليل
فان قيل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى يدل على انهم يقرون
بالبعث فكيف جاز ان يحكى عنهم انهم ينكرون ويقولون ان هى الا حياتنا الدنيا اجيب بانه مبنى
على اختلاف حاليهم فان اقرارهم بالبعث حقيقة انما هو فى الاخرة وانكارهم فى الدنيا ويجوز
ان يكون قوله تعالى وقالوا على تقدير كونه داخلا فى حيز لو معطوفا على قوله لعادوا على معنى
لعادوا لما نهوا عنه ولما قالوا وعلى تقدير كونه كلاما مستانفا بذكر ما قالوه فى الدنيا غير داخل
فى حيز لو يكون توطئة لقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم من حيث انه تعالى حكى عنهم انهم ينكرون
القيمة فى الدنيا ثم بين انهم يقرون بها فى الاخرة ويؤول انكارهم اياها الى الاقرار بها قوله
الضمير للحيوة فان من الضماير ما يذكر مبهما ولا يعلم ما يرجع اليه الا بذكر ما بعده قوله مجاز عن الحبس
لعدم جواز حمله على الحقيقة لان وقوف اهل الموقف على ربهم حقيقة يستدعى ان يكون ربهم فى مكان يقف
اهل القيمة عنده وبالقرب منه كما يقف الخصوم على القاضى وذلك محال فى حقه تعالى وايضا
وقوفهم على ربهم حقيقة يستدعى استعلاءهم على الله تعالى وهو محال بالبديهة فوجب تاويله اما بان
يحمل الكلام على الاستعارة التمثيلية بان يشبه حبس الله تعالى اياهم للسؤال والتوبيخ بايقاف السيد
عبده بين يديه ليعاتبه فعبر عن الهيئة المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها او بان يحمل الوقوف بمعنى
المعرفة كما يقول الرجل لغيره وقفت على كلامك اى عرفته قوله تعالى فذوقوا العذاب خص لفظ
الذوق للاشارة الى ان ما يجدونه بعدها اشد مما قبله فيكون نسبة ما قبله الى ما بعده كنسبة المذوق
الى المطعوم قوله ونصبها على الحال اى حتى اذا جاءتهم الساعة باغتة مباغتة والبغتة والمباغتة
مفاجاة الشىء بسرعة من غير ان يشعر به الانسان حتى لو كان له شعور بمجيئه ثم جاءه بسرعة
لا يقال فيه بغتة والوقت الذى تقوم فيه القيمة تفاجئ الناس فى ساعة لا يعلمها الا الله
فلذلك سمى ساعة او لسرعة الحساب فيها على الباري تعالى وقول الناس يا حسرتنا مجاز لان
الحسرة لا يتاتى منها الاقبال وانما المعنى المبالغة فى شدة التحسر كانهم نادوا الحسرة وقالوا ان كان لك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)